



إذا رجعنا إلى كتب الحديث الموثوق بها، وإلى كتب مقالات الإسلاميين، وكتب التاريخ - نرى النزعة الخارجية وأصل الخروج نسبت في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن ثمة فهو سابق للثورة على الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - (35 هـ / 656 م)، وعلى معركتي الجمل (36 هـ / 657 م)، والصقين (37 هـ / 657 م)، وما تلاهما من فتن ومحن.

أخرج البخاري (164 - 256) في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الأنصاري (74 هـ / 694 م) قال: بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - يقسم، جاء عبدالله بن ذي الخويسرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: ((ويُلَكَ! مَنْ يَعْدِلْ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟!!)) فقال عمر بن الخطاب (23 هـ / 644 م): دعني أضرب عنقه، قال: ((دعه؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يُحْقِرُ أَحْدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يُمْرِقُ السَّهْمَ مِنَ الرَّمِيَّةِ))؛ أخرجه البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وأن لا ينفر الناس منه.

وقد وردت عدة أحاديث فيهم، أخرج البخاري منها ثلاثة، ومسلم سائرها.

وتتصف الروايات المختلفة ذاك الرجل الخارجي أنه أول قرن يخرج على الأمة، يبدو عليه أثر السجود [1]، وبأنه رجل يعجبنا تعبيده، كان يغزو مع الرسول، ويُطيل الصلاة، ويرى في نفسه أنه أخير الصحابة وأفضل منهم جميعاً، متخلصاً، مجزوز الرأس محلوقه [2]، وأنه رجل من أهل الباردة، حديث عهد بالإسلام [3].

أما الخوارج فهي فرقة ضالة، ظهرت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب؛ نتيجة الخلافات السياسية التي بدأت في عهده، وكانت لها آراء أحدثت شرحاً سياسياً في بناء الأمة. وكان أول ظهور لها تحديداً في معركة صفين التي جرت أحادثها بين علي ومعاوية - رضي الله عنهم - وذلك حين رفع

أهل الشَّام - جيش معاوية - المصاحف داعين أهل العراق - جيش علي - إلى الاحتكام إليها، فاغتَرَّ الخوارج بذلك الدُّعْوة، في حين رأها علي - رضي الله عنه - حيلةً من أهل الشَّام لدفع هزيمة بدأ علاماتها، فتوجَّهَ إليهم - رضي الله عنه - بأن يُواصلوا القتال، إلَّا أنَّهم أبوا إلَّا قبول تلك الدُّعْوة، وحَمِلَ علي على قبولها، وهَدَدوه قائلين: "أجبَ إلَى كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ - إذ دُعِيتَ إلَيْهِ، إلَّا دفعناك بِرِمَّتِكِ إلَى الْقَوْمِ"، فنهاهم - رضي الله عنه - فأبوا، فقبل - رضي الله عنه - بالتحكيم؛ استجابةً لهم، وصيانة لجماعة المسلمين من التفرّق والتشردُّم.

ثم انتدب - رضي الله عنه - ابن عباس للمفاوضة عنه، فرَغَبَ الخوارج عنه، وقالوا: هو منك وسيُحابيك، ولكن أرسِلْ أبا موسى فإنه قد اعزَّلَ القتال ونصح لنا، فوافق علي - رضي الله عنه - على كُرْهِ منه.

وعندما اجتمع الحكمان - أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص - انفقا على تأجيل التحكيم إلى رمضان، فرجع عليٌّ بمن معه من صفين إلى الكوفة، إلَّا أنَّ الخوارج انقلبوا على موقفهم، وأعلنوا البراءة من التحكيم، ورأوا فيه ضلالاً وكفرًا، وهم الذين هددوا علياً - رضي الله عنه - بقبوله والرضا به، ففارقوا الجماعة رأياً، وفارقوها جسداً؛ إذ انحاز اثنا عشر ألفاً منهم إلى حروراء، فأرسل إليهم عليٌّ - رضي الله عنه - عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وقال له: لا تعجل إلى جوابهم وخصوصتهم حتَّى آتيك، فاستعجلوا محاورته فحاورهم - رضي الله عنه - فلجموا في خاصمه، فلما جاء عليٌّ أجابهم على ما نفموه عليه من أمر الحكمين، وكان مما اعتبروا عليه قوله: خَيَرْنَا: أَتَرَاهُ عَدْلًا تَحْكِيمَ الرِّجَالِ فِي الدِّمَاءِ؟ فقال لهم عليٌّ - رضي الله عنه - إنَّا لسنا حَكَّمانِ الرِّجَالِ إِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ، وهذا القرآن إنَّما هو خطٌّ مسطور بين دفتين لا ينطق إنَّما يتكلَّم به الرِّجالُ، قالوا: فَخَيَرْنَا عَنِ الْأَجَلِ لِمَ جَعَلْنَاهُ بَيْنَكُمْ؟ قال: لِيَعْلَمَ الْجَاهِلُ وَيَتَبَثَّ الْعَالَمُ، وَلَعَلَّ اللَّهُ يَصْلِحُ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ هَذِهِ الْأُمَّةُ، ادْخُلُوهُ مِصْرَكَ رَحْمَكَ اللَّهُ، فَدَخَلُوهُ مِنْ عَنْدِ أَخْرَهُمْ.

ولمَّا دخلوا الكوفة أظهروا المعارضة مرَّةً أخرى لقضية التحكيم، وعندما اعتمَّ عليٌّ أن يبعث أبا موسى للحكومة، أتاه زرعة بن البرج الطائي وحرقوص بن زهير السعدي من الخوارج وقال له: تُبِّ من خطئتك وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدوَّنا نقاتلهم، وقال عليٌّ: قد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وعاهدناهم، فقال حرقوص: ذلك ذنب تنبغي التوبة منه، فقال عليٌّ: ليس بذنب ولكنه عجز من الرأي، فقال زرعة: لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنك أطلب وجه الله، فقال عليٌّ: بؤساً لك، كأنَّي بك قتيلاً تسفى عليك الرياح، قال: وددت لو كان ذلك، وخرجنا من عنده يُناديَان: لا حُكْمَ إلَّا لله.

وطَّبَ عليٌّ يوماً فتناذلوا من جوانب المسجد بهذه الكلمة، فقال عليٌّ: الله أكبر، كلمة حقٍّ أريد بها باطل، وخطب ثانية فقالوا كذلك، فقال: أما إنَّ لكم عندنا ثلاثة ما صحِّيتُمُونَا: لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا الفيء ما دمت معنا، ولا نقاتلكم حتَّى تبدئونَا، وننتظر فيكم أمر الله.

تنَّصف هذه الفرقة بأنَّها أشدُّ الفرق دفاعاً عن مذهبها وعصبيَّاً لآرائها، كانوا يدعون بالبراءة والرفض لل الخليفة عُثمان بن عفان، وعلىٍّ بن أبي طالب، والحكَّام من بني أميَّة.

اصرَّ الخوارج على الاختيار والبيعة في الحكم، مع ضرورة محاسبة أمير المسلمين على كلٍّ صغيرة، كذلك عدم حاجة الأمة الإسلامية ل الخليفة زمن السلم.

#### خلفيَّتهم:

يذهب الشهُرستاني إلى أنَّ نزعة الخوارج قائمة على أساس عقليٍّ، وهو القول "بالتَّحسين والتَّقييَّح" العقليَّين، ذلك لأنَّ أول خارجي حكم بهواه العقلي، وأعرض عن النَّص، الذي هو فعل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإذا عُدَّ من خرج على الإمام عليٌّ - رضي الله عنه [4] - خارجيًّا؛ فمن أنكر على رسول الله أولى بأن يُوسم بتهمة "الخروج" [5].

وعامل العصبية الفبلية والأصل البدوي يُعتبر من أهم عوامل ظهور الخوارج، حيث يذهب الكثير من علماء التَّارِيخ إلى إثبات عروبة الخوارج، فهم من القبائل الربعيَّة في الغالب؛ مثل قبائل تميم وبكر وأهل اليمن، وقد كان لهم شأن في الجاهليَّة [6]،

ويذهب أحمد أمين إلى أنَّ الموالى الذين انضمُوا إلى الخوارج لم يكونوا ذوي أثر عددي[7]، فقد استهوت الموالى دعاوى الخوارج أنَّ الحكم لا يحصر في قبيلةٍ ما أو عرقٍ ما، وكونهم من غير العرب توهَّمُوا أنَّ الخوارج قد يقبلون بهم حُكُّام ولو عليهم.

يقول الباحث نايف معروف[8]: "والذِّي نميل إليه هو أنَّ الخوارج في بدء أمرهم كانوا عرباً خلصاً، ومن أعراب البابية بشكل خاص"، فقد وصفوا عند معارضتهم بأنَّهم من أغاريب بكر وتميم[9]، ولعلَّ قبائل بني تميم أمدَّت الخوارج بأكبر رصيد من العساكر والقادة، حتى يمكن القول أنَّ هذه الحركة ولدت في أكنااف بني تميم تحت رايتها، وكان ذلك حين مرَّ بهم الأشعث ليقرأ كتاب التَّحْكِيم، ثمَّ كان أمير القتال فيهم ابن ربعي التَّميمي، ومسعر بن فدكي التَّميمي، وعروة بن أدية التَّميمي، ومرداس بن أدية التَّميمي، بل رأس الخروج حرقوص بن زهير السعدي التَّميمي، وهو ذو الخويسنة الذي اعترض على الرَّسُول في القسمة.

وإنْ كان في بني تميم من يعارضهم؛ بل ويقاتلهم[10]، ولعلَّ أصدق برهان على نزعة الخوارج القبلية، وعصبيتهم ضد قريش وسلطانها: أَنَّا لَا نَجِدُ فِي صَفَوْهُمْ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ مِّنْ تَارِيخٍ وَجُودِهِمْ قَرْشِيًّا وَاحِدًا.

فالخلفاء الأربع من قريش وبني أمية من قريش، وهم كانوا يحسدون قريشاً لاستحواذها النبوة والخلافة معاً؛ والدليل أنَّ كُلَّهم من القبائل الرباعية التي كانت بينها وبين القبائل المضدية إحن جاهليَّة، توارت شيئاً ما بعد إسلامهم، لكن ما لبث أن برزت في صور من التَّدُّين، وألبست ثوب زور باسم الدين، ولنا دليل في مقوله الأشعث بن قيس في رفضه لاختيار ممثل الإمام علي - رضي الله عنه - حين اعترض على ترشيح عبدالله بن عباس - رضي الله عنهم - قائلًا: "لَا والله، لَا يَحْكُمُ فِيهَا مُضْرِيَانَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَة"[11]، فقدم عصبيَّته اليمينية الرباعية على رأية الإمام علي - رضي الله عنه.

بالإضافة لعامل العصبية القبلية الجاهليَّة وبداءة الأعراب الجلية في تصرُّفاتهم، هناك عامل كان مبدأ الخروج وطلوع قرن الخوارج؛ وهو "المال"، حيث قرَر أبو عوانة يعقوب بن إسحاق النيسابوري (316 / 928م): أنَّ أَوَّل خروجهم للأثرة في القسمة؛ وذلك لما عارض رأسُهُم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قسمة الغيء.

وأنَّ الذين خرجوا على الخليفة عثمان - رضي الله عنه - اتهموه بأنه قسم الأموال بين أقاربه[12]، وروى الطبرى أنَّهم تناولوا في داره بأنَّ "أدرِكُوا بيتَ المَالِ، لَا تُسْبِقُوا إِلَيْهِ"، وأنَّوا بيتَ المَالِ فنهبُوه[13].

وعندما قسم الخليفة على أموال البصرة على من شارك في وقعة الجمل تكلمت "السبئية" في ذلك، وخاضت في الطعن في علي، بل أحد اعترضاتهم عليه: عدم سُبْيٍ وأخذٍ أموال من قاتل في معركة الجمل.

وممَّا كتب معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهُما - إلى عثمان بن عفَّان يصف الخوارج: "إِنَّمَا هُمُّهُمُ الفتنة وأموال أهل الذمة"[14] وكان أغلب الخوارج من "القراء"؛ أي: حَمَلة القرآن الكريم، لكن لم يثبت أنَّ فيهم صحابيًّا واحدًا أو عالِمًا فقيهًا، وقد بايعوا عليًّا بن أبي طالب بعد مقتل عثمان بن عفَّان، ولمَّا رفض معاوية بن أبي سفيان مبايعة عليٍّ ثمَّ خرج معاوية في جيش لملaqueة عليٍّ وكانت موقعة صفين، نقضوا البيعة.

### موقع النهروان:

انحرَّ الخوارج بعد معارضتهم لعليٍّ، وخرجوا على جماعة المسلمين، وقتلوا عبدالله بن خباب بن الأرت، وبقرروا بطن جاريته، فطالبهم عليٌّ - رضي الله عنه - بقتاله فأبوا عليه وقالوا: كلنا قتلة، وكلنا مستحلٌّ دماءكم ودماءهم، فوعظهم وأنبهم ونصح لهم، فأبوا إلَّا المناجة والقتال، فقال لهم - رضي الله عنه - يَمَنْ مَعَهُ حَتَّى أَفْنَاهُمْ، فلم يبق منهم إلَّا سبعة أو ثمانية - كما يذكر المؤرِّخون - تفرَّقوا في البلاد، ومنهم نبتت بذرة الخوارج مَرَّةً أخرى، وكوَّنوا جماعات ظلَّت مصدر قلق للدولة الإسلامية.

### التَّسْمِيَّة:

أطلقوا على أنفسهم: "المؤمنون - جماعة المؤمنين - الجماعة المؤمنة".

تسمية الخوارج: أطلق عليهم اسم "الخوارج" لخروجهم على أئمة الحق والعدل، وثوراتهم المتعددة، ولما شاع هذا الاسم، قبلوا به؛ ولكنهم فسّروه على أنه: خروج على أئمة الجور والفسق والضعف، وأنَّ خروجهم إنما هو جهاد في سبيل الله.

تسمية أهل النهروان: والنهروان اسم إحدى المواقع التي خاضوها في ثوراتهم.

تسمية الحروريَّة أو الحروريَّين: انتساباً لإحدى المواقع التي خاضوها في ثوراتهم أيضاً.

تسمية المحكِّمة: لأنَّهم رفضوا حُكْم عمرو والأشعرى، وقالوا: "لا حُكْم إلا لله".

تسمية الشراة: سموَّا أنفسَهُم الشراة، كمَن باعوا أرواحهم في الدنيا واشترَوا النعيم في الآخرة، والمفرد "شارٍ".

أصول الفكر الخارجي:

لم يكن للخارج عند بدء ظهورهم منظومة أفكار تشكِّل مذهبهم الذي فارقوا به أهل السنة، فقد كانت مفارقتُهم لل المسلمين متعلقة باعتراضهم على مسألة التحكيم، إلا أنَّ مذهب الخارج اتسَع في بِدْعَه ومخالفاته؛ نظراً لما استتبع اعتراضهم الأول من التزامات، ولما استجدَّ عليهم من محدثات.

**فِي آرائِهِمْ:**

1- الخروج على الحَكَام إذا خالفوا منهجَهُم وفهمُهُم للدين.

2- تكفير أصحاب الكبائر.

3- التبرؤ من الخليفتَيْن الرَّاشدِيْن عُثْمَان وعَلِيٌّ - رضي الله عنهمَا.

4- تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي، فكُلُّ مَن ينصبُونه ويقيم العدل فهو الإمام، سواءً كان عبداً أم حَرَّاً، عجمياً أم عربياً، وذهب طائفةٌ منهم - وهم النجادات - إلى عدم حاجة النَّاس إلى إمام، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإنَّ رأوا أنَّه لا بدَّ من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً.

5- إسقاط حد الرَّجم عن الزَّانِي، وإسقاط حدِّ القذف عَمِّن قذف المحسنين من الرجال دون مَن قذف المحسنات من النساء، في "نيل الأوطار" للشوكاني: أنَّ الرَّجم مجمع عليه، ولكن في "البحر" عن الخارج أنَّه غير واجب، وكذلك حكاه عنهم ابن العربي، ولا مستند لهم إلا أنَّه لم يذكر في القرآن، وهذا باطل؛ فإنه قد ثبت بالسنة المتواترة المجمع عليها.

6- إنكار بعضهم سورة يوسف، وهو من أقبح أقوالِهِم وأشنعها، وهذا القول يُنْسَب إلى العجارة من them، حيث قالوا: لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن.

7- القول بوجوب قضاء الصَّلاة على الحائض، فخالفوا النَّصَّ والإجماع.

**من صفات الخوارج في الحديث النبوِيِّ:**

لم يرد في فرقة من الفرق الإسلامية من البيان النبوي ما ورد في الخارج؛ فقد تواترت الأحاديث في التحذير منهم وبيان صفاتهم، ومن صفاتهم التي ورد بها الحديث:

1- قلة فهم القرآن ووعيه؛ فعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّه قال في وصفهم: ((يحرق أحدهُم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية)); متفق عليه.

2- زهد وعبادة وخبث اعتقاد، كما سبق في حديث أبي سعيد الخدري.

3- سُلِّمَ على أهل الكفر حرب على أهل الإسلام؛ فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنَّه قال في وصفهم: ((يقتلون أهل الإسلام ويَدْعُون أهل الأوثان)).

4- صغار الأسنان سفهاء الأحلام؛ فعن علي - رضي الله عنه - أنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال في وصف

الخوارج: ((حدائق الأسنان وسفهاء الأحلام)); متفق عليه.

5- التَّحْلِيق: كما ثبت في صحيح البخاري مرفوعاً إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ فِي وَصْفِهِ: ((سيماهم التَّحْلِيق)) والمراد به: حلق رؤوسهم على صفة خاصة، أو حلقها بالكلية، حيث لم يكن ذلك من عادة المسلمين ولا من هديهم في غير النسك.

6- شرُّ الْخُلُقِ وَالخُلُقِيَّة: كما ثبت ذلك في صحيح مسلم، وأنَّ ((قتلاهم شرٌ قتلى تحت أديم السماء)); كما عند الطبراني مرفوعاً، وأنَّهم ((كَلَابُ النَّارِ)); كما في "مسند أحمد"، وأنَّهم: ((يُمْرَقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يُمْرَقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)); كما ثبت ذلك في الصَّحِيحَيْنِ.

### صفات الخوارج النفسية:

تختلف أنفس وطبع البشر، وتتنوع محدداتهم النفسية، ما بين لَيْنَ هين، وما بين قاس غليظ الطبع، وما بين متوسط بين هذا وذاك، والمتأمل في حركة "النفرة" التي حصلت في الأمة الإسلامية، والنظر في سمات الفرق، وحركات الغلو والتَّكْفِيرِ وغيرها في القديم والحديث - يجد أَنَّ النَّفْسَ "الْغَالِيَّةُ" هي نفس مهيأة ابتداءً إلى تقبُّل "الْغَلُوِّ"؛ فبدايتها مع البعد النفسي، ثم تتتكلف في تأصيل غلوها بتألفيات فكرية: حتَّى تطمئنَّ بأنَّ طريقها صحيح، فالخوارج قدِيمًا أو حالياً يمتازون بالجفاء في المعاملة حتَّى قبل اعتناقهم للآراء الخارجية، فخوارج العصر الأوَّل استهוَتهم فكرة البراءة من عثمان وعليٍّ وبني أمية؛ حتَّى احتلت أُفاهَمُهُمْ وملكت عليهم عقولهم، وسدَّت كلَّ بَابٍ للمراجعة، فمن تبرُّأَ من عثمان وعليٍّ وطلحة والزُّبُرِّ، سلكوه في جمعهم وأضافوه إلى عددهم، وتسامحو في مبادئ آخر كانت حال التدقيق أَخْطَرَ من البراءة تلك، ولمَّا خرج ابن الزُّبُر على الأُمَوَّيِّن ناصروه، فلَمَّا عِلِّمُوا أَنَّهُ لا يتبرَّأَ من أبيه ومن تبرُّوا هُم مِنْهُ، نابذوه، وشهدوا لعمر بن عبد العزيز بالحكم الرَّاشِدِ والعدل في الرعية، لكن حال بينهم وبين القبول بالطاعة له البراءة.

هذا علَّنا، أمَّا في قرار أنفسهم، فقد حال بينهم وبين أولئك الصحابة والأمويَّين من قريش، والخوارج بعصبيتهم القبلية لا يرضَّون إلَّا مَنْ هُوَ مِنْهُمْ عرَقاً لا دِينَاً.

يقول عنهم أبو زهرة[15]: "إِنَّهُمْ لِيَشْبَهُونَ فِي اسْتِحْوَادِ الْأَلْفَاظِ الْبَرَاقَةِ عَلَى نُفُوسِهِمْ، وَاسْتِيَلَاهُ عَلَى مَدَارِكِهِمْ - الْيَعْقُوبِيُّونَ (فرقة نصرانية) الَّذِينَ ارْتَكَبُوا أَقْسَى الْفَظَائِعَ فِي الثُّورَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ، فَقَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَى هُؤُلَاءِ الْفَاظِ (الحرية والمساواة والإخاء) وباسمها قتلوا النَّاسَ، وَأَهْرَقُوا الدَّمَاءَ، وَأَوْلَئِكَ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِمُ الْفَاظُ "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" وَ "الْبَرَاءَةُ"، وَبِاسْمِهَا أَبَاحُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَضَبُوا الْبَلَادَ بِهَا، وَشَنُّوا فِي كُلِّ مَكَانٍ غَارَاتٍ، وَكَانَتِ الْحَمَاسَةُ وَقَوْءُ الْعَاطِفَةِ مِيزَةَ الْيَعْقُوبِيِّينَ وَالخَوَارِجَ".

يرفعهم لشعار "لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" قديماً أيام الإمام علي، وحالياً، كلمة حقٍّ أُريد بها باطل، وقرار أنفسهم ما تبديه أعمالهم أنَّ دعواهم: "لَا حُكْمَ إِلَّا لَنَا"، إذا أُعطوا من الدنيا رضُوا، وإن لم يدركهم نصيبٌ إذا هم يُسخطون، وإن وُجد فيهم ذُو مال فإنما يبغى الرِّبَا، أمَّا الشباب فمشكِّلُهُم نفسية من ترسُّبات المراهقة الكامنة في الرَّغبة في التميُّز وسياسة "خالف تعرف"، والرغبة في الانتماء لجِوِّ ما يجعله متميِّزاً عن "العادِي"، والرغبة في الانتماء والقبول تظلُّ صارخة تطالب بالإشباع، وإذا لم يندمج الشَّابُ المراهق مع أقرانه من نفس الجنس، فربما ينجذب للوقوع في علاقات غير صحيحة تبدو وكأنَّها ستسدُّ الاحتياج للقبول.

يقول المفكر جوستاف لوبيون في وصف اليعقوبيَّين: وتجد النفسيَّة اليعقوبيَّة خاصَّةً عند ذوي الأخلاق المتخمَّسة الضَّيْقة، وتنضمُّ هذه النفسيَّة فكراً قاصراً عنيداً، وكلَّ شيءٍ خارج عن الإيمان بالفكرة غير مؤثر فيها، وما تغلب على الروح اليعقوبيَّة من العناصر العاطفية يجعل اليعقوبي كثير السَّذاجة، ولما كان بهذا لا يدرك من الأمور إلَّا علائقها الظَّاهِرَيَّة، فإنه يظنُّ أَنَّ ما يتولَّ في روحه من الصور الوهميَّة حقيقة، ويقوته ارتباط الحوادث بعضها ببعض، وما ينشأ عن ذلك من النتائج لا يحول بصره عن خياله أبداً؛ إِذَا فاليعقوبي لا يقترب الآثم لتقديم منطقه العقلي إذ لا يملك منه إلَّا قليلاً، وإنَّما يسير مستيقناً.

وعقله الضعيف يخدم اندفاعاته حيث يتعدد ذو المدارك السامية فيقف.." [16].

كثير من هذه الصفات النفسية تلمسها عند الخوارج عبر تاريخهم، من أشعارهم إلى عقائدهم إلى جرائمهم، فالحماسة والجرأة كانت لهم مواقف عدّة مثل مقاطعة الخليفة علي - رضي الله عنه - في خطبه، بل حتّى في صلاته، وتحدي بعضهم فرادى للمسلمين جهاراً، والعناد كقتلهم للصحابي عبد الله بن خباب بن الأرت، ولما طولبوا من الخليفة بتسلّيم القتلة قالوا بأنَّ الكلَّ شارك في قتل ابن الخبَاب، فقاتلهم علي - رضي الله عنه - حتّى كاد يُفْنِيهِمْ، ولم يَتَّهِمْ ذاك عن الرُّجُوع عن موقفهم، أمّا السذاجة فلهم مواقف تضحك، ولكن ضحك كالبكاء! وبعد قتلهم لصحابي وبقر بطن جاريته وقتل طفلها، تورّعوا في تمرة، وكم لهم من قصص مع الكفار؛ فقد كانوا يؤمنون حياة الكافر ويبيحون دم المسلم! حتّى إنَّ لهم لقاءً مع واصل بن عطاء رأس المعتزلة وجماعة من أصحابه، فلما سألهُم عن معتقدهم أجاب واصل بأنَّهم أهل كتاب، فأخذوه وأصحابه وقوروُ لهم آياتٍ من كلام الله ثمَّ أبلغوهم مأنهم، ولو قال بأنَّه مسلم لجزُوا عنقه، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان! فكان فيهم التّعصب للفكرة لدرجة الهوس، مع التشدد في معامل المخالف، والخشونة في الدّعوة والمعاملات والدفاع عن آرائهم، فلا رُفق فيما يصدر عنهم، ولعلَّ السبب الجلي في ذلك أنَّ أكثرَهم من أعراب الـبادية؛ ومن بدا جفا، وقليل فيهم أهل الحضر، وإنْ وجدوا فسيماهم حدَّ الطَّبع والجفاء؛ لأنَّ أفكار وعقائد وسلوكيات الخوارج لا تُؤامِنُ الطَّباع الـلَّيِّنة أو المترنَّحة والهادئة، فالخوارج واللبن من الألفاظ المتناقضة لا تجتمع.

والأول منهم كانوا من أهل الـبادية في فقر مدقع، وشدة وبلاء قبل الإسلام، وبعده لبعدهم عن القرى لم تتحسن أوضاعهم كثيراً، وأصاب الإسلام شغاف قلوبِهم مع سذاجة في التّفكير، وضيق في التّصور، وبُعد عن العلوم، وعادتهم بعدم الولاء لدولة، ولا الطّاعة لإمام واحد، فميزة العرب في الجاهليَّة أنَّ لكل قبيلة رأساً، وتجمِيعهم تحت لواء واحد كان من المحال، والأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً، وهم أسلموا ولم يؤمنوا، وغالبَ مَن ارتدَ في حروب الرَّدة كانوا من الأعراب، ومن اليمين وهم من القبائل الـربعيَّة المعادية للمصرية التي منها قريش، ومن تبع دعاء النبيَّة لا لتصديقهم؛ بل لعصبيَّتهم لقبائلهم.

وزهد الخوارج ليس في الغالب عن غنىٍ بل عن فقر، فهو صبر اضطراري، وطبع سارتُ عليه حياتهم الـبادية فحوّلوه للدين؛ لذا لا تجد التكالُف في ذاك لأنَّ طباعهم اعتاد قساوة العيش وضنك الحياة، فتولدت لهم طباع خشنة وعقول متھورة مندفعة، قلَّ مَن تجده فيهم ذا لين في المعاملة، وتفهمُ للخلاف، كما أنَّ عامل طلب الـرِّياضة سيغطي على كلِّ الحجج، ويردُ كلَّ القواعط؛ لأنَّه سريٌّ غير معلن عندهم، ولنا في أهل السياسة في زمننا عبرة.

فكونهم يحسدون قريشاً على الحكم في الإسلام هو من ميراثهم الجاهلي بين الـربعيَّة والمصرية، فاستحوذ الأفكار قد يكون له عامل وراثي محض؛ لأنَّ الإنسان من طبعه أن يكره كلَّ ما تعلق بما آلمه في يومٍ ما، من كلام أو صور أو روايات؛ لأنَّها تذكره بذلك الألم، وطبائعه النفسيَّة تجعله يتقبل من الأفكار ما يرتاح لها نفسياً؛ لذا كان من القواعد العامة أنَّ السنّي يبحث عن الدليل ثم يعتقد، أمّا المبتدع فهو يعتقد ثم يبحث له عن دليل يكتسب ما يهوى شرعية دينية.

فأفكار الخوارج لها قبول نفسي كبير عند ذوي الأخلاق الضيق والنفوس الخشنة الطباع، وإنَّ بعضَ مَن هدى الله لا يعتقدُها ولكن يجد في نفسه شيئاً مما يوافق هواه وطبعه، إلا أنَّه يقدم ما أتى به نبيه على ما يهوى هو.

والمرجنة تجدهم يتهافتون على نصوص رحمة الله وسعتها ومغفرته، ويملؤون الحديث بالرجاء، ويتناسون الوعيد، وعندهم الله تعالى: غافر الذنب، ويغلق القوس قبل: شديد العقاب ذو الطول؛ لذا تجد مَن يميل لهذا الفكر من أهل الترف وأهل الحضر والكسالي، وضياع النفوس ذوي السلوكَيَّات المضطربة، ومرتعهم كان في مدن العراق، ومنها نبت الإرجاء.

ومرتع ضنك العيش وقساوة الطبع بادية الصحراة، وأعراب الحجاز واليمين، ومنها نبت الخروج، وقس على ذلك الكثير من الفرق والآراء والعقائد؛ فالشيعة كثيرة من آرائهم أصلُها فارسي بتنوع عقائد أهل الفرس، حتّى عقيدة الإمام المغضوم هي من صلب معتقداتهم في "كسرى الفرس"، والمتصوفة تاريخياً منشوئهم بالعراق بمناطق كانت تجاور طوائف نصرانية رهبانية،

وأهل الكلام أساطينهم ليسوا عرباً بل من عجم العراق، وأرض العراق أهلها أهل فراق وتشقيق للكلام، وتدخل للحضارات والمعتقدات، فناسب الكلام جهلاً بأصول العربية والحديث النبوي أول الأمر، ولك أن تطالع أوائل المناظرات بين علماء السلف وأهل الكلام، فقد كان مصريهم في الغالب في اللغة العربية وعلومها، فهي في أصولها تنافي تشقيقاتهم، وتكتلاتها أهل الفلسفة، فتجدهم فيما بعد اهتمّ أكابرُهم بعلوم اللُّغة لمنازعة أهل السنة؛ لأنَّهم بنوا عقائدهم على مبدأ "اعتقد ثم استدل"؛ فكان التعصب، وما زادتهم المناظرات والرُّدود إلاً توغلًا في البحث عن الأدلة التي تنصرُ آراءهم.

#### صفات النفس الغالية الخارجية:

##### الصفة الأولى:

نفسية لا تقبل الوسطية والتَّجزيء، فإنما معها أو ضدها، لا تقبل أن تكون معها في البعض، وتخالف في آخر، فإنما موافقتها حذو القذة بالقذة، أو المفاسلة والمقاطعة، وال الحرب التي لا تهدأ أوارها، ولا تنطفئ نارها، وبين شيخ الإسلام ابن تيمية في نشوء الفرق أنَّ أول قضيَّة افترقت فيها الفرق هي: مسألة اجتِماع الخير والشَّرِّ، والبدعة والسنة، والمعصية والطاعة في النفس الواحدة، فيقرِّر أنَّ الخوارج قالوا: لا يجتمع في الإنسان خير وشر؛ ولذا كفَّروا بالمعصية لأنَّهم يرُون استحالة أن يجتمع في الإنسان طاعة ومعصية، فإن وقع في معصية انتفى أصل إيمانه، والمرجئة في المقابل قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، وأماماً أهل الحق والسنة فقالوا: يجتمع في الإنسان خيرٌ وشُرٌّ، وطاعة ومعصية، فيحوالى على قدر ما به من طاعة، ويعادى على قدر ما به من معصية.

##### الصفة الثانية:

غلظة في الطبع، فلن تجد غالياً في التاريخ وهو لين العريكة، سهل المعاشر، خافض الجناح للناس، بل تجد أنَّ الصَّلف في القول، والشدة مع المخالف، والتجربة على الآخرين - سمة من سمات "الغالبة" على مدار التاريخ؛ ولذا لا تجد خارجيَاً - إلا ما ندر - لين الطَّبع، وفي مقابل ذلك لا تجد مرجحاً غليظ الطَّبع، فالسمات النفسية دافع إلى تبني الأفكار، وتَجد أنَّ النفسية الغالية تجنب كثيراً إلى التنطُّع في الاختيارات، وسلوك الطرق الوعرة، ومحبة التحرير في الأحكام، ولم يُخَيِّر الغالي بين حُكْمَين دائرين بين الإباحة والحرْث إلاً وتوجه إلى الحرْث؛ لأنَّ التشدد في الحكم يتوافق في الغالب مع النفسية الغالية؛ ولذا كان تحريم المباح على النفس من صنوف الغلو والبعد عن سنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقد أنكر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على من ترك زواج النساء، ومن قام ولم ينم، وصام ولم يفطر؛ لأنَّ هدِيهِ الزَّواج والقيام والنوم، والصيام والfast، وستنه على ما قدر للناس من التَّكليف.

##### الصفة الثالثة:

الإجمال وكراه التفصيل، فهم يكثرون بالجملة دون تفصيل أو استثناء، ولا يحبُّ الخارجي في الغالب أن يدخل في التفاصيل التي تمنعه من ممارسة هوايته في التكاثف بالناس، والتفكه بالطعن في أعراضهم، فسمات الخوارج الأخذ بالمتشابه من الآيات دون دخول في مصادِّها ومعانيها وتفاصيلها، بالرجوع إلى المحكم من الآيات، أو الأحاديث الصَّحيحة المفسَّرة للآيات، فقالوا: "إنَّ الحِكْمَةَ إِلَّا لِللهِ" دون تكليف النفس في التأمل فيها والنظر في مناطق الأحكام، وتنقيحها وتحقيقها، أو مراجعة أهل التفسير وأئمته، لكن بعد أن طعنوا في علماء الصَّحابة، ماذا بقي لهم غير أهواهم؟! لذا تراهم في زماننا أول من يبدؤون به هم علماء أهل السنة والجماعة، فلما فرغوا من الطعن فيهم لم يتورعوا فيمَّ دونهم من الطلبة والعامَّة والحكَّام.

##### الصفة الرابعة:

الشدة على المخالف حال الإنكار عليه، مع تعظيم الذات والانتصار لها، فالغالي يُفجِّر في خصومته؛ لأنَّه لا يدعوه بل لنفسه بأنه الأعلم وهو الأسبق إلى معرفة الصواب، يرى أنَّ مسائله كلها محسومة من بعدها النطري، فهو على حقٍّ مطلق، وخصمه على باطل مطلق، وهذا ما يجعل غلوه في تصاعد مستمر، حين لا يتيح لنفسه التراجع عن أفكاره، بل لو فوجئ بدليل دامغ

تراه يَسْتَشِيطُ غَبْرَاً، وقد يَفْجُعُ بِشَبَهَةٍ تافِهَةٍ تُصِيبُكَ بِصَكَّةٍ فَكَرِيَةٍ.

#### الصفة الخامسة:

الثقة الزائدة عن حدتها في كل ما يراه تجعله يقاطع الناس على كل رأي مخالف، فترى الغالي من أقل الناس خلطة للناس، وصبراً على أذاهم والتسطع معهم، وفي مقابل ذلك فهم يتيمون متيمون ببعضهم البعض، ويعظمون بعضهم بعضاً إلى درجة كبيرة؛ ولذا تجد هذه الصفة حاضرة في الخارج، فحين يتكلمون بخصوصهم يكيلون لهم كل قبيحة، وحين يتحدثون عن بعضهم فإن الواحد ينفع في صاحبه وهو لا يساوي بقلة، وقد قال شاعرهم:

مُتَأْوِهِينَ كَانَ فِي أَجْوَافِهِمْ \*\*\* نَارًا تُسَعِرُهَا أَكْفُ حَوَاطِبِ  
تَلْقَاهُمْ فَتَرَاهُمْ مِنْ رَاكِعٍ \*\*\* أَفْ سَاجِدٌ مُتَضَرِّعٌ أَفْ نَاحِبٍ  
يَنْلُو قَوَاعِدَ تَمْرِي عَبَارَاهُ \*\*\* فَيَجُودُهَا مَرْيَ المَرَى الْحَالِبِ  
وَمُبْرَئِينَ مِنَ الْمَعَابِ أَحْرَزُوا \*\*\* خَلَلَ الْمَكَارِمِ أَتْقِيَاءَ أَطَابِ

وقال آخر يصف ربه:

نَظَلَ عِنَاقُ الطَّيْرِ تَحْجُلُ حَوْلَهُ \*\*\* يُعَلَّنَ أَجْسادًا فَلِيَلَا نَعِيمُهَا  
لِطَافًا بَرَاهَا الصَّوْمُ حَتَّى كَانَهَا \*\*\* سُيُوفٌ إِذَا مَا الْخَيْلُ تَدَمَى كُلُومُهَا

ومن صور تعظيمهم لبعضهم قول أحدهم:

وَأَسْأَلُ اللَّهَ بَيْعَ النَّفْسِ مُحْنِسًا \*\*\* حَتَّى الْأَقِيَّ فِي الْفِرْدَوْسِ حُرْقُوْصًا  
وَابْنَ الْمَنِيْحِ وَمِرْدَاسًا وَإِخْوَتَهُ \*\*\* إِذْ فَارَقُوا زَهْرَةَ الدُّنْيَا مَخَامِيْصًا

#### الصفة السادسة:

العناد، فهي نفسية جلدة على حمل الفكرة، حتى لو وقف الناس كلهم في طريقه، ولو راجع فيها أعلم القوم، وسردت أدلة الوحي كلها على خطئه، ما زاده من المخالف إلا نفوراً؛ ولذا لا يتورع من مفاصلة أقرب الناس إليه إذا لم يسر على ما يريد، وكان الخارج من أشد الناس جلداً على العبادة والتخشُّع والتبتل، والبعد عن الدنيا وزخرفها، بل يعيش الواحد من هؤلاء ممتهنياً صهوة جواده إلى أن يموت، فلقد قال قائلهم:

مَنْ كَانَ يَكْرُهُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ \*\*\* فَالْمَوْتُ أَشْهَى إِلَى قَلْبِي مِنَ الْعَسْلِ

وقال الآخر:

حَتَّى مَتَ تُخْطِلُنِي الشَّهَادَهُ \*\*\* وَالْمَوْتُ فِي أَعْنَاقِهَا قِلَادَهُ

#### الصفة السابعة:

التسرُّع وقد إلى فقه الأولويات ومعرفة الأهم فالأهم، وهذا بسبب السذاجة والتهور الذي يمتازون به، فأصابهم العمى عن الموازنة والمقاربة بين الأمور.

#### الصفة الثامنة:

كثر الجدل والخصومة، يدافع عن مذهبِه ويتعلّقُ الحجج له ولا يترك لخصمه ناحية إلا سعى إلى إضعافها، وإن كان خصمَه على حق وهو على باطل، بل لا يزيد إيراد الحجج على الخارجي إلا تنقيبه عن الشبه لردّ قواطع الأدلة. ولهم رغبة جامحة في المناقشة واستعراض ما لهم من ملكات، ومساجلة الآراء، حتى وهم في صلب المعركة، فالتعالُم طاغٍ عليهم، والتجربة على العلماء ميزتهم.

#### الصفة التاسعة:

التعصب لآرائهم، فلا يسلّمون لخصومهم بحجّة مهما تكن قريبة من الحق، لاستيلاء آرائهم على نفوسِهم، وتغلّل مذهبهم في

قلوبهم، ولأنّهم يناظرون تعصباً، لا لبيان الحقّ واتّباعه إنّ ظهر.  
وفيهم لَدَد - شدة منازعة - وخصوصة بدويّة، وكلما أوردت لهم شبهة، أتوكَّأ بآخرى، ولنا في مناظراتهم  
لِإمام علي وعبدالله بن عباس أكْبَرُ دليل.

- 
- [1] منهاج السنة، ابن تيمية: ج2، ص 39.
  - [2] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني: ج 6، ص (226 – 227).
  - [3] المصدر نفسه: ج12، ص 246.
  - [4] يقال في الإمام علي: "رضي الله عنه" وليس "كرم الله وجهه"؛ فهي من بقايا التشيع، راجع تحقيق الشيخ علي حسن  
لكتاب "الفوائد" لابن القيم.
  - [5] الملل والنحل، الشهريستاني: ج 1، ص 21.
  - [6] صور من التاريخ الإسلامي، العبادي: ص 186.
  - [7] فجر الإسلام، أحمد أمين: ص 262.
  - [8] الخوارج في العصر الأموي، نايف محمود معروف: ص 28.
  - [9] تاريخ الطبرى، الطبرى: ج 6، ص 3353.
  - [10] الكامل، المبرد: ج 3، ص 1129.
  - [11] تاريخ اليعقوبي، اليعقوبى: ج 2، ص 189.
  - [12] منهاج السنة، ابن تيمية: ج 4، ص 391.
  - [13] تاريخ الطبرى، الطبرى: ج 5، ص 391.
  - [14] المصدر نفسه: ج 5، ص 87.
  - [15] تاريخ الجدل، أبو زهرة: ص 146.
  - [16] نفلاً عن: تاريخ الجدل، لأبي زهرة: ص 146.
- 

موقع الألوكة.

المصادر: